مكتبة دار السلام
للكتب الجامعية
بيع وشراء الكتب الجامعية
طباعة - استنساخ - رايزو - كبس فويات - سيابرول
مجمع كليات باب الزبير - مقابل عمادة الآداب
موبايل
٠٧٨٠١١٧٠٠٧٨
عبد الرزاق عبد علوان

الفصل الأول

النهضة الأوربية

كان عصر النهضة الأوربية مؤلفاً من مجموعة حركات ثقافية وفكرية وعملية شكلت انفجاراً ثقافياً وفكرياً وعملياً غيّر معالم الحياة في أوربة ومقاييسها وقيمها على مدى ثلاثة قرون امتدت بين ١٣٠٠ - ١٦٠٠ ميلادية . حيث شهدت هذه القرون تغيرات جوهرية ؛ أهمها تبلور اللغات والآداب القومية الحديثة ، ومن ثم حركات الاستقلال القومي والوحدة القومية في أوربة وكذلك تبلور الكنائس القومية وانسلاخها عن الكنيسة الكاثوليكية ، وتقلص سلطة البابوية وما يتبع ذلك من سيادة الدولة على الدين . وحلول فكرة الحق الطبيعي محل الحق الإلهي وما ترتب على ذلك من حلول القانون الوضعي وحقوق الانسان محل القانون السماوي، كما حدث في تلك الفترة انهيار النظام الإقطاعي نتيجة لحركات الوحدة القومية وظهور الملكية المطلقة ثم الملكية المقيدة وبعدها الديمقراطيات الحديثة . وقد انتشرت حركات الإصلاح الديني بإعادة فتح باب الإجتهاد في الدين على أساس إحلال العقل محل النقل وإلغاء احتكار الفقهاء والكهنة كمفسرين للوحي وإلغاء دور الأولياء كوسطاء بين الناس والكنيسة ، وكذلك انتشار فكرة الإيمان بأن الإنسان قيمة في ذاته وأن الإنسان سيد مصيره وإن لحياة الإنسان وعلومه وفنونه وفلسفاته قيمة في ذاتها لا تغني عنها علوم الدين . ومن أهم سمات عصر النهضة الأوربية إحياء التراث القديم (العربي واليوناني والروماني) السابق على المسيحية بوصفه جزءاً لا يتجزأ من تراث الإنسانية ، وازدهار الإبداع الأدبي والفكري نتيجة لذلك ، وكذلك حلول الطباعة محل النسخ اليدوي ، منذ اختراع غوتنبيرغ /١٣٩٤/١٤٦٨ م المطبعة وبداية عصر الاستعمار الاستيطاني إثر اكتشاف أمريكة في ١٤٩٢ م وغيرها من بقاع العالم المجهولة .

يمثل عصر النهضة فترة الانتقال من العصور الوسطى إلى العصور الحديثة وقد تعددت آراء الباحثين حول معنى النهضة . فالمهتمون بالفنون تعني لهم النهضة الثورة في مجالات التصوير والنحت والعمارة حيث تحرر الفن من قيود العصور الوسطى . أما المهتمين بالآداب والفلسفة فتعني لهم ثورة فكرية تبدت باكتشاف المخطوطات القديمة وتقدم علم فقه اللغة وتذوق الشعر . أما بالنسبة للعلماء فالنهضة هي الاكتشافات الحديثة والتقدم الحثيث في ميادين العلم . ومن أهم المكتشفات العلمية اكتشاف نظام المجموعة الشمسية ودورانها حول الأرض على يد العالم الفلكي البولوني نيكولاس كوبرنيكوس[1] Nicolas Copernicus ١٤٧٣ - ١٥٤٣ م ، والعالم الإيطالي جاليليو جاليلي Galileo Galilei ١٥٦٤ - ١٦٤٢ م ، وتقدم علم التشريح على يد فساليوس Vesalius ١٥١٤ - ١٥٦٤ م، واكتشاف الدورة الدموية من قبل الطبيب الإنكليزي وليم هارفي William Harvey ١٥٧٨ - ١٦٥٨ م ، وكان الطبيب العربي ابن سينا قد أشار (إلى أسياسيات دوران الدم في الجسم من قبل) . أما المهتمون بالعلوم السياسية والتاريخ السياسي فقد رأوا أن النهضة قد بدأت بتدهور نظام الإقطاع وظهور الدول الموحدة الحديثة على أساس قومي وظهور الملكية وتقيد السلطة الكنسية واضمحلال البابوية وبزوغ معنى الحرية الشعبية[2] . وتجدر الإشارة إلى أن حركة النهضة لا تقتصر على فرع معين من المعارف الإنسانية على الرغم من أن لكل تفسير من التفسيرات السابقة أهميته وقيمته . فالنهضة بشكل عام هي التغيرات التي طرأت على سلوك الانسان وتفكيره في القرنين الرابع عشر والخامس عشر نتيجة لنمو العقل الإنساني ، وقد شملت تلك التغيرات جميع نواحي الحياة وأثرت فيها ، فلم يعد اهتمام الناس منحصراً بالحياة الأخرى بل بدؤوا بالاهتمام بالعالم الذي يحيط بهم غير مبالين بالحياة الأخرى . فقد نبذ الأوربيون وبشكل تدريجي التعاليم الكنيسية ورجعوا إلى الكتب الإغريقية والرومانية القديمة وإلى كتب العرب المسلمين الأصلية أو الكتب العربية المترجمة من اليونانية وبدؤوا بدراستها بالإضافة إلى دراسة الكتاب المقدس . وشرعوا يبحثون في الكتب التراثية القديمة حيث أتيح لهم التعرف على الحضارات العربية والأوربية التي ازدهرت قبل ظهور المسيحية وبدؤوا بمقارنتها بحضارة العصور الوسطى مما مكنهم على الانفتاح على اتجاهات جديدة غير مألوفة آنذاك مثل النظر

على أن الحياة الإنسانية غاية في ذاتها وإن الإنسان مركز لها لذا لابد من احترام ذاتية الفرد والاعتراف بحقوقه وحرياته لأن الإنسان ليس عاجزاً أمام الطبيعة بل هو قادر على كشف أسرارها وحل القضايا التي تواجهه[3] .

ومن الملاحظ أنّ النهضة لم تحدث فجأة بل جاءت تدريجياً على مدى ثلاثة قرون من القرن الثالث عشر إلى القرن السادس عشر . وقد اختلفت النهضة من دولة أوربية إلى أخرى فقد بدأت النهضة في إيطالية منذ القرن الثالث عشر وبلغت أوجها في القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر . بينما لم تستجب كل من فرنسة وإسبانية وانكلترة وهولندة للتطورات الجديدة إلا في أواخر القرن الخامس عشر وقد أثمرت النهضة في هذه الدول في القرنين السادس عشر والسابع عشر ، في الوقت الذي كانت فيه النهضة قد بدأت بالتراجع في منبعها الأول إيطالية . واشتهرت كل دولة أوربية بمظهر من مظاهر النهضة فنجد بأن إيطالية قد تميزت بكل من النهضتين الأدبية والفنية بينما تميزت ألمانية بالنهضة الدينية وظهرت النهضة بأطر أدبية ودينية وعلمية وفنية في انكلترة وفرنسة[4] .

العوامل التي أدت إلى ظهور النهضة :

وجدت عوامل عديدة أدت إلى انبثاق النهضة في أوربة من أهمها :

أولاً - أثر الحضارة العربية الإسلامية :

لقد ظهر الإسلام في شبه الجزيرة العربية وامتد إلى بلاد الشام والعراق وفارس وبلاد ما وراء النهر وإلى السند في آسية وكذلك إلى أوربة حيث دخل الأندلس وصقلية وجنوبي فرنسة وايطالية وكريت . وصهر الفكر الإسلامي في تلك الفترة البلاد في بوتقته الخلاقة أفضل عناصر الحضارات المعروفة كاليونانية والفارسية والهندية فنمت الحضارة العربية الإسلامية وترعرعت وكانت أعظم حضارة عرفتها العصور الوسطى في جميع المجالات . وعاشت أوربة في هذه القرون الستة التخلف الحضاري حيث خبت الحضارة الرومانية تدريجياً من إيطالية وفرنسة وإسبانية وانكلترة ،

والفلسفة والرياضيات ، وعادوا إلى أوربة حاملين معهم فنوناً وصناعات عربية عديدة كالصناعة الحريرية . وقد ذكرت المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه فضل العرب في حضارة الغرب « ولم يكن الطالب يعرف التدريب العملي ، كما كان الأمر لدى العرب ، حتى أن المعاهد الطبية العالية كانت معدومة الصلة بالمستشفيات إلى أن عاد الصليبيون من الديار المقدسة فطلبوا من البابا إنوشنسيوس الثالث (Inuozenz III) إنشاء مستشفيات على شاكلة المستشفيات العربية التي دهشوا لرؤيتها ، ومضى وقت طويل قبل أن تتحقق هذه الأمنية . وكان مستشفى ستراسبورغ Strasbourg أول مستشفى التصق به طبيب رسمي ، وكان ذلك عام ١٥٠٠ م ، أي بعد ثمانمائة سنة من تأسيس أول مستشفى عربي ، كان قد أنشأه الوليد الخليفة الأموي ، وعين فيه الأطباء والممرضين »[٢١] .

وهكذا فإن احتكاك الحضارة العربية الإسلامية عبر المسالك الأربعة المذكورة سابقاً أدى إلى تقدم مختلف نواحي الحياة الاقتصادية والثقافية والفكرية في أوربة ، وساهم في تحرير الذهن الأوربي من الكثير من الأوهام والخرافات ، ومن ثم في قيام نهضة في أوربة .

ثانياً – النهضة الإيطالية المبكرة :

بدأ بزوغ النهضة في مدن شبه الجزيرة الإيطالية ، حيث ازدهرت هناك ثم أخذت بالانتقال إلى الدول الأوربية الأخرى ويعود سبب سبق إيطالية في ظهور النهضة إلى عوامل عديدة أهمها :

١ – الازدهار الاقتصادي الذي تمتعت به المدن الإيطالية بفضل سيطرتها على أسواق التجارة في أحواض البحر الأبيض المتوسط ، وقيام الإيطاليين وبخاصة تجار البندقية وجنوة بنقل السلع الشرقية من ثغور بلاد الشام ومصر إلى الموانئ الإيطالية ، ومن هناك إلى الأسواق الأوربية عبر ممرات جبال الألب مما أدى إلى نمو الرأسمالية . بالإضافة إلى ذلك فقد تمتع الإيطاليون بذوق وفن وثقافة وعملوا على تشجيع رجال العلم والفن[٢٢] .

٢ – كون المدن الإيطالية مهد الحضارة الرومانية القديمة . وقد ظلت تزخر بقدر كبير من تراث هذه الحضارة من نقوش ومخطوطات ومبان على الرغم من غزوات القبائل الجرمانية .

٣ – الاستقرار والسلم الذي نعمت به شبه الجزيرة الإيطالية لفترات طويلة دامت حتى قيام الملك الفرنسي شارل الثامن بغزوها أبان الحروب الإيطالية[٢٣] .

وقد ساهم الهدوء والاستقرار والأمن في تهيئة الظروف المناسبة لظهور النهضة .

٤ – الموقع الجغرافي الممتاز الذي احتلته شبه الجزيرة الايطالية ، كان من العوامل التي أدت إلى سبق المدن الإيطالية في ظهور النهضة ، فقد قامت على سواحلها أقدم الحضارات وأعرقها وأضحت مركزاً للتجارة العالمية وميدان الاحتكاك الفكري بين الشرق والغرب في القرن الرابع عشر[٢٤] .

٥ – ميل الشعب الإيطالي للحياة الفنية بكل فروعها وقد تبدى هذا الميل في شغف السكان في إمتاع النفس والعين والأذن بالجمال .

٦ – تحرر المدن الإيطالية من سيطرة الإقطاع في فترة مبكرة إذا ما قورنت بالمدن الأوربية الأخرى . ولكن هذا لا يعني بأن المدن الإيطالية قد تحررت بشكل كامل ونهائي من سيطرة الإقطاع فقد بقي القسم الجنوبي من شبه الجزيرة الإيطالية ذا نظام إقطاعي ولم يتأثر بشكل كبير بحركة ظهور المدن .

٧ – تنافس الأسر الحاكمة في المدن الإيطالية على اقتناء المخطوطات والتحف والصور وتأسيس الأكاديميات والمكتبات ومجامع العلم التي نهضت بالدراسات القديمة وأدت إلى حدوث النهضة الإيطالية . ومن هذه الأسر أسرة مديتشي Médicis وقد حكمت فلورنسة وأسرة فيسكونتي Visconti وقد سيطرت على ميلان وأسرة بورجيا Borgia وقد قبضت على الولايات البابوية . وقد كان لتلك الأسر دور مهم في تأسيس المكتبات فقد أنشأ كوزمو دي مديتشي Cosme de Médicis مكتبة في البندقية ودعم مكتبة سان ماركو في فلورنسة ، كما اهتم البابا نيقولا الخامس بمكتبة الفاتيكان حيث زودها بكتب قديمة ونادرة . وقد أسهمت الأكاديميات في نشر الدراسات الإغريقية واللاتينية وكانت المركز الذي يلتقي به أساتذة العلم والأدب ومن